مجلة أنثروبولوجيا ISSN: 2437-041X
مجلد: 09 عدد: 01 السنة 2023 E-ISSN:2588-2325

أنطولوجيا الجسد الأنثوي وجمالياته في التراث العربي الإسلامي: قراءة تحليلية للتراث المدون المروي والشعري

The ontology and aesthetics of the female body in the Arab-Islamic heritage: an analytical reading of the narrated and poetic recorded heritage

بن فرحات فتيحة*، جامعة لونيسي علي البليدة2، rahildjawad@outlook.fr

زبوج سامية، جامعة لونيسي علي البليدة2، zebboudjsamia@gmail.com

تاريخ الإرسال: 2023/03/26 تاريخ القبول: 2023/06/07 تاريخ النشر: 2023/06/30

ملخص:

يسعى هذا المقال إلى القيام بقراءة تحليلية لما خلفه التراث العربي الإسلامي حول كينونة الجسد الأنثوي وجمالياته الكلية والجزئية بتداخل المعطيات والمتغيرات بين ما كان سائدا قبل الإسلام ثم أثناء ظهور الإسلام ثم بعد انتشاره عقديا وفكريا وثقافيا واجتماعيا

لقد وصفت المرأة بأدق التفاصيل وبأدق الأوصاف الظاهرة والباطنة، وبمجيء الإسلام نظمت العلاقة بينهما وأزال الحجاب موضوع التطرق للجسد الأنثوي الذي اعتبره عورة لا يصح ابتذاله والحديث عنه إلا في معرض الاختيار للزواج.

فالجمال في الإسلام ليس ظاهرة مطلقة، حيث نجد أحاديث للرسول (ص) كانت تحبب المرأة السوداء الدميمة المنجبة على المرأة الحسناء الجميلة العاقر، فللخصوبة أهمية أكبر من الجمال المادي في الإسلام، غير أن هذا لا يمنع من أن يرتبط الجمال في التصور الإسلامي باختيار الزوجة.

إذ بتغير الظروف والأوضاع وتداخل متغيرات جديدة نقلت المعايير الجمالية المرتبطة بالمرأة من الدين والأخلاق إلى الثقافي وما قننه الإنسان العربي وصار يحكم الجسد الأنثوي ويوجهه حسب المطلوب والمرغوب والظروف المشكلة له.

الكلمات المفتاحية: أنطولوجيا ،الجسد ،أنثى ،تراث، جمالية.

* المؤلف المرسل

Abstract:

This article seeks to do an analytical reading of what the Arab-Islamic heritage left behind about the being of the female body and its total and partial aesthetics, with the overlapping of data and variables between what was prevalent before Islam, then during the emergence of Islam, and then after its spread doctrinally, intellectually, culturally and socially.

Beauty in Islam is not an absolute phenomenon, Fertility is more important than physical beauty in Islam, but this does not prevent beauty in the Islamic perception from being linked to the choice of wife.

With the change of circumstances and conditions and the overlapping of new variables, the aesthetic standards associated with women were transferred from religion and morals to the cultural, and what the Arab man legalized and became governing the female body and directing it according to what is required and desirable and the circumstances that constitute it

Keywords: Anthology, body, female, heritage, aesthetic.

مقدمة:

يتضاد الجمال والقبح، فيصبح الأول مرغوبا فيه والثاني منفرا هكذا هي نظرة الإنسان لصورة هاذين الضدين المرغوب والغير مرغوب، وهنا تبدو المرأة أو الأنثى موضوعا قائما بين الثنائيات أو المتضادات، فالجميلة مرغوبة، مثيرة للشهوة، وإن كان العكس فهي منفرة وغير مرغوب فيها ويتأكد الأمر عبر ما ينتجه الإنسان من أقوال وحتى بعض الآليات الصانعة للجمال إلى يومنا هذا.

واستنادا إلى المصدر الخارجي الصانع للجمال أي صفات جسدية جمالية أو حتى قبيحة نستشعرها من خلال النظر والذوق والحس، الذي يحكم على صورة المرأة كما تبدوا في أي مجتمع من المجتمعات الجمال والذي يختلف من مجتمع إلى آخر ومن مكان إلى آخر، من ثقافة لأخرى وحتى من فرد لآخر مهما كان الزمان والمكان والعرق، فكل ثقافة إنسانية مفاهيم خاصة بالجمال ومواصفاته الظاهرة والباطنة سعى إليها الناس وساروا على خطاها، وترسبت هذه المفاهيم في المخيال الجمعي المتعلق أساسا بالشكل الخارجي لجسد المرأة وفق مقاييس ومترادفات متباينة عبر مختلف الثقافات.

وللثقافة العربية حول قضية الجسد والنفسية والجمال الأنثوي عموما باع طويل حيث كان العرب معروفين ومشهورين بتغنيهم بالجمال، وعشقهم للوجه الجميل، وكانت الشهوة تستعر في ظله، فما أن يكشف الجمال عن نفسه، حتى تستسلم النفس للواعجها، وانفعالاتها فالجمال عندهم ذاكرة المتعة، كما يظهر وسير نحو خلود مفترض في الحياة ذاتها.

تلك البيئة التي منحت للجمال أهمية كبيرة حتى بولغ في وصف الجمال المتعلق بالأنثى، الجمال ذي الاعتبارات الحسية الظاهرية لدى العرب في علاقتهم بالمرأة في جاهليتهم ثم إسلامهم فاختلاطهم بأجناس وأعراق مختلفة، والذي زادهم شغفا وولعا ورغبة في الجمال الجسدي الأنثوي ونشدانه، كما جاء في المرويات والتراث والقصص والشعر الذي خلفوه (معلقات، دواوين ...). وعليه فإنه بالوسع ممارسة قراءة تاريخية في المدون منه عبر الأدبيات القصصية والحكائية والشعرية عن موضوع الجمال الجسدي بشكل مكثف يعني الجمال الظاهر للعيان سواء أكان الجسد ممتلئا أو متوسطا أو نحيفا، أو عن الوجه كجزء من الجسد.

ومجموع الأوصاف في الحقيقة تعبر عن مرحلية عاشها العرب في تاريخهم الطويل، لكل فترة مواصفاتها ومقاييسها وأحيانا هناك مواصفات ومقاييس بقيت ثابتة، متواصلة في المخيال العربي الإسلامي،فمن هي المرأة الأثيرة في المخيال العربي الإسلامي في عهوده القديمة والمتأخرة والحديثة؟ وكيف تم تصوير الجسد الأنثوي وجمالياته في التراث العربي الإسلامي؟

أو بالأحرى ما هي المقاييس الجمالية المكونة لجسد المرأة في هذا المخيال عبر الأطوار التاريخية الحافلة بالأحداث والمسارات المتناقضة؟

1. مظاهر الجمال الجسدي المرغوب في المرأة العربية:

الجمال الجسدي أنماط وألوان متعددة، وقد لجأت العديد من الشعوب لإبرازه عبر النحت والنقش والتصوير (مثل اليونانيون...) ونحى العرب منحى البعض منهم وزاد في تأكيده، ونالت المرأة النصيب الأكبر لإبراز جمالها في شعرهم ونثرهم، فوصفوا محاسنها وتغنوا بأسراره، إن صور الجمال الأنثوي راسخة في مخيالهم المدون وفي نصوصهم المتنوعة الحافلة بهذه الصنوف من الجماليات المبنية على أسس تكاملية بين جميع أعضاء وأجزاء ومكامن جسدها الذي عايشوه عبر الطبيعة ثم عبر اختلاطهم بالآخر الأعجمي.

لقد تفنن العرب في وصف مفاتن المرأة الجسدية البادية والباطنة حتى صار بالإمكان الخروج أو استخلاص معاجم وقواميس للجماليات الجسدية الأنثوية ومن يتفرس فيها ويفلها يستطيع الخروج بالكثير الكثير عن بني يعرب بن يشجب : عاداتهم، تقاليدهم، نظمهم، عقائدهم، أمثالهم، حكمهم، أساطيرهم، معبوداته (خليل، العرب والمرأة، 1998، صفحة 89)

إن المرأة الأثيرة عند العربي من خلال ما خلفه الشعر، الأقوال، الأحاديث، القصص ... تحمل مجموعة من المواصفات الجسدية المحبذة وجلها يتعلق بالطبيعة المحيطة به (كالشجر، الجمادات، والبعض من الحيوانات... إلخ) وقد حفل شعرهم وقصصهم وأقوالهم وتعابيرهم عامة بمقاييس جمال المرأة وصفاتها الجسدية المرغوبة التي لها علاقة بالجمال والحسن والظرف والجسد الجذاب، الذي يلفت الأنظار (الرجل العربي خاصة) سواء أكان ذلك في عهود قديمة أو في عهود متأخرة وحديثة نتيجة تواصلية الكثير من المقاييس الجمالية المرغوبة في المخيال العرب الإسلامي، وبتداخل الكثير من الظروف التي مست هذا المجتمع وتداخل عناصر نسوية (الجواري، الفتيان من شتى الأمصار والأقطار...) أصبحت معاكسة للنموذج الذي عايشه العربي في بداوته القريبة من الطبيعة الخام (الخيمة، الصحراء، الماء، الفرس، النخلة، الرمال... إلخ)، والتي حاول النموذج الإسلامي إضفاء طابع خاص عليها بإعطاء الجسد وجسد المرأة خاصة قيمة اجتماعية تدعوا إلى إبعاده عن الابتذال والتداول.

إنّ العرب من بين الشعوب الميالة إلى جانب الجمال الجسدي أكثر من أي جانب آخر، لذا ربطوا جسد المرأة بالفتنة والشهوة، والفتنة عندهم تتصل بالحسن والملاحة والجمال الشكلي وقرينه،الفتنة بالنساء هي الإبتلاء بهن وكأنه خضع للجمال الخلاب، فلم ينجح فيه فصار مفتونا به، ومن معاني المفتون المجنون، وفتنته المرأة إذا وضعته موضع الاختبار بحسنها (العلوي، 1988، صفحة 120)، إذن هذه إحدى الخصائص المرتبطة بالعرب ونظرتهم إلى المرأة الجسد باعتبارها فاتنة ، ومن بين الشروط التي تجعله موضوع فتنة أن يكون الجسد شابا أو في عنفوان الشباب، غرا أي تكون المرأة حديثة صغيرة السن, لقولهم أن أقل ما يكون التمتع بها أربعون عاما (صبار، 1998، صفحة 201)أو ربما فاق قليلا أو أقل من ذلك وإذا ما تعدتها صارت عجوزا ،لذا قالوا هي مسلف ونصف عوان، وهي التي بلغت خمسا وأربعين سنة ونحوها، وهذه قد تناهى شبابها وأخذ ماء وجهها في النقص، ولحمها في الاسترخاء وهي التي قالوا فيها:

لا تنكحن عجوزا إن أتيت بها
وإن أتوك وقالوا: إنها نصف

واخلع ثيابك منها ممعنا هربا
فإن أمثل نصفيها الذي ذهبا
(البرقوقي، 2004)[5]

وإنما:

" عليك إذا ما كنت لابد ناكحا
وكل هضيم الكشح خفاقة الحشا

ذوات الثنايا الغر والأعين النجل
قطوف الخطا، بلهاء، وافرة العقل

(الجاحظ أبي عثمان، 1996، صفحة 96)

و كما قال الحارث بن كلدة الثقفي(طبيب العرب في الجاهلية، أدرك الإسلام وعاش حتى عهد معاوية.):

" لا تنكحوا من النساء إلا الشابة، وتأكلوا من الحيوان إلا الفتي، ولا من الفاكهة إلا النضيج (الجاحظ أبي عثمان، 1996، صفحة 130)

كما ارتبط في ذهنيتهم صورة للجمال تتصل بالصحة والعافية والخلو من الأمراض والعاهات والزوائد، بحيث لا تبلغ المرأة درجة الكمال والجمال إن لم تخلوا من هذه الشوائب، لذا لجأت المرأة العربية إلى الوشم كأسلوب تزييني، وعامل طارد للشر والأذى اللاحق به.

وإن كان عامل الصحة يتعلق بالجسد فإن الصحة النفسية لها أيضا أهمية لذا كنّت العرب المرأة بالجارة، والطلة، والحرب، والفراش، والسرجة، والعتبة، والقارورة، والنعجة، البقرة الوحشية , والشاة – أي الضبية- والقلوص- الفتية من الإبل – والقوصرة (البرقوقي، 2004، صفحة 88) وهذا نابع من عاداتهم ومما كان يوكل للمرأة داخل البيت، فقد كانت المرأة عماد البيت ولا زالت والمفاهيم السابقة جلها يدل على الزوجة، عماد الدار وحرث الرجل تنجب له الأبناء الأصحاء خاصة إذا تخير نسبها وعرقها.وروي عن بعضهم أن رجلا قال لرجل آخر أراد الزواج إستوثر فراشك، أي تخير السمينة من النساء، ويقال : فلان كريم المفارش إذا تزوج كرائم النساء (البرقوقي، 2004، صفحة 89)

إن الصور التي يقدمها العرب عن المرأة في إطار هذا المجال(سواء الشاعر، أو الناظم ... إلخ) هي صور ذات بعدين الأول تعلق بطبيعة جسد المرأة والثاني تعلق بالوظيفة التي يقدمها ذاك الجسد اليافع، الموفور الصحة الذي يبدي الرغبة والاستحسان، ويضاف إلى الصور السابقة الذكر عناصر أخرى تأكد الأهمية التي يوليها العرب للجسد الأنثوي والممثلة في عنصر اللون واللمس والرائحة والحرارة، ففي عنصر اللون : فهي ذات وجه أبيض وشفاه تضرب فيها السمرة، وأسنان وعيون سوداء، وشعر أسود، وكذلك عنصر الرائحة : فهي طيبة الرائحة وإن لم تتطيب، وعنصر الحركة فهي تسير الهويني، وهي ثقال تبدو متهالكة حين تقف ... وعنصر اللمس فهي بضة الملمس ناعمة لينة، وعنصر الحرارة فهي تبرد في الصيف وتدفئ في الشتاء هذا إلى جانب سحرها وتأثيرها فهي صائدة (عبد الجليل، 1989، صفحة 16)

إن جسد المرأة لا يعدوا ذا قيمة إذا لم تتوافر فيه مثل هذه الشروط، ولم تتآلف معه الألوان (لون العين، البشرة، الشعر ... إلخ) وتتناسب فيه الأجزاء، فبصرف النظر عن لونها يستحسن أن تكون

بضة، رقيقة البشرة نظرة وممتلئة فيقال : هي بضة وجسدها بض ... والبضاضة الرخصة الجسد الممتلئة البدن الصافية اللون ... مع رشاقة جمال القد ولطفه واتساقه (العلوي، 1988، صفحة 229)

2. التصور الكلي للجسد الأنثوي وجمالياته في التراث العربي الإسلامي:

للعرب كما رأينا معايير خاصة بالجسد الأنثوي، ولكنهم في تناولهم لهذا الجسد يحصرونه في مجموعة من المواصفات منها ما كان مستحيل التحقيق نتيجة الظروف التي كانوا عليها، وقد فرقوا في تناول هذا الجسد بين الجمال والحسن والملاحة وإن بدت كما يلاحظ أنها تتعلق بالجمال ولكنها تختلف في مرماها ومعناها، فقد قالوا عن المرأة الجميلة: جميلة من بعيد، مليحة من قريب الجميلة السمينة من الجميل وهو اللحم ... يبدأ الجمال من حيث تبدأ الملاحة. (الزاهي، 1997، صفحة 77)

إذن تعلق الجمال بالحسن وهي كلها أسماء تصف الجمال الظاهر، فالمرأة إذا كانت بها مسحة من جمال فهي وضيئة وجميلة، فإذا أشبه بعضها بعضا في الحسن فهي حسانة، فإذا استغنت بجمالها عن الزينة فهي غانية، فإذا كانت لا تبالي أن تكسوا ثوبا حسنا ولا تقلد قلادة فاخرة فهي معطال، فإذا كان حسنها ثابتا كأنه قد وسم فهي وسيمة، فإذا قسم لها حظ وافر من الحسن فهي قسيمة، فإذا كان النظر إليها يسر الروع فهي رائعة، فإذا غلبت النساء بحسنها فهي باهرة. (الزاهي، 1997، صفحة 80)

كما قالوا " ليس المرأة الجميلة التي تأخذ ببصرك جملة على بعد، فإذا دنت منك لم تكن كذلك، بل الجميلة التي كلما كررت بصرك فيها زادتك حسنا.وعلى ما يبدوا فإن هذه المصنفات جلها يتعلق أو يشرح مفهوم الجمال الجسدي أي أسماء مختلفة تتصل اتصالا وثيقا بموضوع الجمال الأنثوي، وهي تصورات كما سنرى لاحقا تنتمي تاريخيا إلى العصر الجاهلي (عبر المرويات والشعر والميثولوجيا ...) ثم إلى بدايات الإسلام حتى العصر الأموي، فقد اشتهر العرب في عهدهم ذاك باشتهائهم وعشقهم للمرأة المكتنزة، الممتلئة الجميلة الجسد إضافة إلى البياض وسواد الشعر وغيره، وصور الشعر الجاهلي جسد المرأة المرغوب ممتلئا ورشيقا ليس فيه ضخامة إلا في بعض الأعضاء كالساقين والذراعين.

وقد فاق وصفهم الجمال الجسدي للمرأة أحيانا حدّ الخيال ونورد مثالا جاء في رسالة وجهها المنذر الأكبر ملك الحيرة إلى كسرى مع هدية تمثلت في جارية أصابها عندما أغار على الحارث الأكبر ابن أبي شمر الغساني، كتب يصفها قائلا: إني قد وجهت إلى الملك جارية معتدلة الخلق، نقية اللون والثغر، بيضاء، قمراء، وطفاء (غزيرة الأهداب وشعر الحاجبين)، كحلاء، دعجاء (شديدة سواد العين وشديدة بياضها) حوراء، عيناء قنواء، (ارتفاع أعلى أنفها وإحديداب في وسطه...)، شماء (ارتفاع قصبة الأنف وحسنها ، برجاء (جميلة وحسنة الوجه...) زجّاء (دقيقة الحاجبين في طول)، أسيلة الخدجثلة الشعر (كثيفة الشعر سوداؤه)، عظيمة الهامة، بعيدة مهوى القرط (طويلة العنق) عيطاء (طويلة العنق)، عريضة الصدر، كاعب الثدي، ضخمة مشاش المنكب والعضد (رأس العظم اللين)، حسنة المعصم،

لطيفة الكف، سبطة البنان، ضامرة البطن، خميصة الخصر، غرثى الوشاح (دقيقة الخصر)، ردحاء الأقبال (الردحاء : العجزاء، الثقيلة الأوراك، التامة الخلق، والأقبال : ما استقبلك من مشرف) رابية الكفل، لفّاء الفخذين (ضخمة الفخذين، مكتنزة)، ربّاء الرّوادف، ضخمة المأكمتين (اللحمتان اللتان على رؤوس الوركين) مفعمة السّاق (ممتلئتهما) مشبعة الخلخال (كناية عن السمن)، لطيفة الكعب والقدم، قطوف المشي (تقارب الخطو) مكسال الضحى (يعني أنها خدومة) بضة المتجرّد (الناعمة الجسد) سموعا للسيد، ليست بخنساء (الخنس هو تأخر الأنف إلى الرأس وارتفاعه عن الشفة)، ولا سفعاء (من السفع وهو السواد) رقيقة الأنف، عزيزة النفس... إلخ. (البرقوقي، 2004، صفحة 99)

وجاء في وصفهم الكلي لجمال المرأة قولهم: ينبغي أن يكون في المرأة أربعة سود، وأربعة بيض، وأربعة حمر، وأربعة كبار، وأربعة صغار، وأربعة واسعة، وأربعة ضيقة، فأما الأربعة السود : فشعر الرأس والحاجبين وأشفار العينين والحدقتان، وأما الأربعة البيض: فاللّون، وبياض العينين، والثغر، والظفر، إلا أن يصبغ، وأما الأربعة الكبار: فالثديان والفرج والعجيزة والركبتان، وأما الأربعة الصغار : فالأذنان والفم واليدان والرجلان، وأما الأربعة الواسعة : فالجبين والعينان، وأصول الثديين والسرّة، وأما الأربعة الضيّقة : فالمنخران والأذنان والخصر والفرج. (البرقوقي، 2004، صفحة 99)

ولما جاء الإسلام نظم العلاقة بين الرجال والنساء، لكن هناك البعض من المخنثين كانوا يدخلون على النساء فلا يحجبون وكان منهم زمن الرسول (ص) رجل يدعى هيت دخل يوما دار أم سلمة زوج الرسول (ص) فأقبل على أخوها عبد الله ابن أبي أمية بن المغيرة المخزومي فقال له:

إن فتح الله عليكم الطائف فعليك ببادية بنت غيلان ابن سلمة بن معتّب، فإنها مبتّلة هيفاء (التامة، الضامرة البطن، الرقيقة الخصر) شموع نجلاء (ضحوك، المتسعة العين...)، إن قامت تثنت، وإن قعدت تبنّت، وإن تكلمت تغنت، تقبل بأربع، وتدبر بثمان (معنى غير مفهوم...)، مع ثغر كالأقحوان (البرقوقي، 2004، صفحة 93)، وقد تجاوز في الوصف الماجن وحينما سمع الرسول (ص) كلامه أمر بعدم دخوله على النساء، ثم أمر أن ينفى من المدينة إلى جبل على ثلاثة أميال.

ومما يحكى في المرويات العربية أن مصعب بن الزبير لمّا عزم على الزواج من عائشة بنت طلحة (كانت من أجمل نساء زمانها) لجأ إلى إمرأة يقال لها عزّة، كانت من أعلم الناس بأمور النساء، فطلب منها أن تنظر إليها، فتوجهت إليها وقالت لها: فديتك! كنّا في مأدبة، أو مأتم لقريش فتذاكروا جمال النساء وخلقهن، فذكروك، فلم أدر كيف أصفك فديتك فألقي ثيابك، ففعلت، فأقبلت وأدبرت، فارتجّ كل شيء منها، فقالت لها عزّة: خذي ثوبك، فقالت (بعدما توجهت إليه) أما عائشة فلا والله ما رأيت مثلها مقبلة ولا مدبرة، مخطوطة المثنين، عظيمة العجيزة، ممتلئة الترائب، نقية الثغر وصفحة الوجه، فرعاء الشعر، ممتلئة الصدر، خميصة البطن، ذات عكن، ضخمة السرّة، مسرولة الساق، يرتجّ ما بين أعلاها إلى

قدميها، وفيها عيبان أمّا أحدهما فيواريه الخمار وأما الآخر فيواريه الخفّ! عظم الأذن والقدم، وكانت عائشة بنت طلحة كذلك. (البرقوقي، 2004، الصفحات 95-96)

وقال عبد الملك بن مروان في نفس المنوال لرجل من غطفان يريد أن يصف له أحسن النساء، فقال : ملساء القدمين، درماء الكعبين مملوءة الساقين، جماء الركبتين، لفّاء الفخذين، مقرمدة الرفغين ناعمة الآليتين، منيفة المأكمتين، بدّاء الوركين، مهضومة الخصرين ملساء المتنين، مشرفة، فعمة العضدين، فخمة الذراعين، رخصة الكفين، ناهدة الثديين، حمراء الخدين، كحلاء العينين، زجاء الحاجبين، لمياء الشفتين، بلجاء الجبين، شمّاء العرنين، شنباء الثغر، حالكة الشعر، غيداء العنق، عيناء العينين، مكسّرة البطن، ناتئة الركب، فقال : ويحك ! وأين توجد هذه؟ قال: تجدها في خالص العرب أو في خالص الفرس (الاندلسي، 1983، صفحة 108)

لا يوجد عضو من أعضاء المرأة إلا وكان له نظير طبيعي من مظاهر ومخلوقات (كالناقة والفرس والريم والحمر الوحشية والظبي، والبان، والنخل، والأقحوان... إلخ) وصفاتها, لما لها من أهمية في حياتهم اليومية، فمن أوصاف المرأة المفضلة تلك التي تشابه المهرة والفرس أو الناقة السمينة، المكناز يعني الكثيرة اللحم والصلبة، الضخمة الردحاء وكان هذا الأمر شائعا في القصيدة العربية القديمة منذ الجاهلية حتى وصفت وصفا دقيقا (الشعر، الوجه، الجيد، الشفاه، الأنامل، الأرداف، الصوت... إلخ) خلفه شعراء الجاهلية وصنعوا من خلاله نموذج الجمال الحسي للمرأة، المرأة كجسد مرغوب في علاقته بمظاهر الطبيعة باختلافها. وأبرز مثال قول لا مرئ القيس من المعلقة :

" مهفهة بيضاء غير مفاضة ترائبها مصقولة كالسجنجل
كبكر المقاناة البياض بصفرة غذاها نمير الماء غير المحلل
تصدّ و تبدي عن أسيل وتتقي بناظرة من وحش وجرة مطفل
وجيد كجيد الرئم ليس بفاحش إذا هي نصته ولا بمعطل (رواينية، 2001، صفحة 315)

لقد كان العربي بدويا رحالا، يعاشر الحيوانات والطيور والنبات، والرمال والجبال...إلخ ونظر إلى المرأة –الجسد المجازي- من المنظور ذاته الذي كان يراه في هذه المظاهر والمخلوقات فمثلا شبهت المرأة بالغزال في القد والرشاقة حتى صار التمييز بينها وبينهم عسيرا وصعبا نظرا لتماسه بها وبهم، فقد وصف العرب: العيون بالكحلاء والحومياء والنجلاء والحمظاء، وهي أوصاف عيون الفرس وكذلك الأوصاف الخشنة. (الحيدري، 2003، صفحة 208)

إذا رجعنا إلى شعرهم نجدهم يحملون عناصر كثيرة للجمال موروثة ومضافة إلى ما عايشه العرب من محيطهم فكان لهذا بقر الوحش والظباء والرخام والعام والماء البارد الصافي موطنا يقتبس منه عناصر الجمال، كما كانت الشمس والقمر وغيرها موطنا لذلك أيضا. (الهاشمي، 1960، صفحة 91)

كما شبهوها بأشياء مختلفة فوصفوا وجهها بالبدر والقمر والشمس، وجبينها بالصبح وشعرها بالليل وصدغها بالعقرب ووجنتاها بالماء وعيناها بعيني الغزال وشفتاها بالعقيق وأسنانها باللؤلؤ وأناملها بالمرجان والدرّ... إلخ والخدود بالتفاح، والأنفاس بالطيب... إلخ فقد وصف أعرابي امرأة قائلا: كاد الغزال يكونها لولا ما تم منها ونقص منه، وقال آخر: خلوت بها والقمر يرينها، فلما غاب القمر أرتنيه. (البرقوقي، 2004، صفحة 99)

إن العرب عموما أحبّوا الارتفاع والامتلاء والسمن والثقل (والذي كما يظهر قد لا مسوه في الفرس... إلخ) حتى: "... العيون هاموا بالوسيعة النجلاء وحثوا نسوانهم على وضع الكحل لماذا؟ لأن الكحل يوهم بسعة العين وكبر حجمهما ... (كالمها والغزال...) وليس في ذلك مغالاة فإن النظرة الحسيّة تسيّدت على نفوسهم فجعلتهم يزنون المرأة بميزان، الضخامة والامتلاء، ومن ثم كانت النسوان تسعى إلى تسمين أنفسهن وتضخيم أعضاء أجسادهم بالطرق كافة. (خليل ، العرب والمرأة، 1998، الصفحات 213-217)

ويبدو أن السمنة تعد في ذلك الزمن علامة فارقة للجمال ذات خلفية ميثولوجية تمنح مادتها من السمن، خلاصة ما هو حيواني... تلبية لحاجة نفسية، لوضعية ثقافية معروضة من ناحية، ولتجلي جنسانية ذات قواعد معممة. (الحيدري، 2003، صفحة 256) والجمال في الإسلام ليس ظاهرة مطلقة ولم يترك العنان لعملية الاختيار ليجد الطامع التبرير والحجة بالزواج، حيث نجد أحاديث أخرى للرسول (ص) كانت تحبب المرأة السوداء الدميمة المنجبة على المرأة الحسناء الجميلة العاقر، فللخصوبة أهمية أكبر من الجمال المادي في الإسلام،غير أن هذا لا يمنع من أن يرتبط الجمال في التصور الإسلامي باختيار الزوجة: قيل لرسول الله: أي النساء خير؟ قال: التي تسرّه إذا نظر، وتطيعه إذا أمر وعلى هذا النحو يتواشح الديني والدنيوي والجمال الجسدي بالواجبات الدينية. ونجد أن لكل عضو وصف وأهم التقاطيع أو الأعضاء التي استرعت انتباههم وكان لها حظ وافر من الوصف نوجز:

1.2.الوجه:

يبقى الوجه العنصر البارز في الإنسان (المرأة والرجل)، غير مستور ومحلّ نظر وتدقيق، وهو أول ما نلحظه ونتعرف به على الآخر وذلك أنه الجزء الأكثر فردية والأكثر خصوصية في الجسد، إن الوجه رمز للشخص. (لوبيرتون، 1997، صفحة 41)

وقد كرّس العرب الكثير من الشعر والنظم والنثر لوصف أو تصوير قسمات وتقاطيع وجه المرأة، والأمر يدل على وجود نوع من العلاقات تجمع الرجل بالمرأة، علاقة ناظر ومنظور (علاقة حب)، أحبّ

العرب استدارة الوجه وإشراقه كالبدر والشمس والقمر في صفاءه ونقاءه وجلاءه. كما أحبوا امتلاء الخدود، بلون وردي أو حمرة التفاح، والخمر والدم وسعة الجبهة ،وكانت العين أكثر الجوارح التي عنوا بها لتأثيرها في النفوس ولدلالتها على المعاني العميقة المختلفة، فيقرأ الرّائي فيها مالا يقرؤه في غيره (الهاشمي، 1960، صفحة 41)،

واللون المفضل في الوجه عموما هو اللون الأبيض، كما فضلوا الأسنان البيضاء، لقد فضلوا البياض في كامل البشرة عدا سواد حدقتي العين، ويستحب في الشفة الحموشة، وهي الرقة، فإن غلظت، قيل: شفة بثعاء ... ويقال في مثل ذلك: إمرأة شفهية، أي: كبيرة الشفة، أمّا عن جبهة المرأة فقد قالوا:

وإذا نظرت إلى أسرة وجهه برقت كبرق العارض المتهلل

أما الأنف فقد وصفوه بالشمم، وهو ارتفاع في قصبة الأنف مع استواء أعلاه وإشراف الأرنبة قليلا، وهذا من صفات الجمال، تشبهه يوافي أنف الظبية واحديدا به أو استقامته يشاكل حدّ السيف.

أما الأعناق فضلوا الطويلة المنتصبة فقالوا عن المرأة الطويلة العنق جيداء وقيل في هذا الشأن:

" يوم تبدي لنا قتيلة عن جيد تليع تزينه الأطواق (الهاشمي، 1960، صفحة 176)

يلاحظ أن طول العنق مما يستحب دون إفراط في طوله فإن أفرط صار الأمر منفرا وغير مرغوب، ومن المعيب أيضا أن يكون العنق غليظا أو قصيرا حيث يكاد الرأس يلتصق بالجسد، فيقال لصاحبة الوصف، امرأة هنعاء.

2.2 شعر المرأة:

لشعر المرأة مكانة في حديث وأقوال وأشعار العرب، حتى قالوا في وصاياهم أن الشّعر أحد الوجهين في جمال المرأة، وقالوا أيضا أن الشعر الأسود برنس الجمال إذ هم يستحبون الشعر الفاحم المسرّح، الطويل والكثيف في الوقت ذاته " ومن أحسن ما قيل في الشعر قول أبن الرومي :

وفاحم وارد يقبّل ممشاه أقبل كالليل من مفارقه إذا اختال مرسلا غدره منحدرا لا ندم منحدره (الهاشمي، 1960، صفحة 155)

3.2 المعاصم والأعضاد والساقان والأقدام والخصر:

فيما يخص المعصم والساق ففضل الممتلئ والريّان، السمين، الأبيض وقد جاء في شعرهم الكثير من هذه الأوصاف كالقول: فإن لها قدم ربا سباط بنانها، والساقان مار اللحم مورا عليهما إلى منتهى خلخالها... لها ذراعي عيطل أدماء بكر، وهي في مشيتها وقوامها وحركتها : تمشي كمشي الزهراء في دمث الرمل، تمشي الهوينى (حسين ، 1989، صفحة 23)، فقد نعتوا الذراعان وأيضا الساقان بالإمتلاء والبياض والنعومة مع لين عظامها وسمنها وطولها، وواصلوا النعت حتى وصفوا الأنامل والأكف والكعب، فالأنامل مثلا وصفوها بالطراوة والنعومة، مخضوبة بالحناء، أما الكعب ففضلوه دقيقا، لا حجم لعظامه، له لحم كثير، وساقان ممتلئان، وضد ذلك الساق الحمشة أي الدقيقة الرقيقة وهو عندهم غير محمود ولا مرغوب، بينما الخصر والبطن وباقي الأعضاء، فنجدهم في عموم نظرتهم اهتموا بمنطقة الوسط، كلطافة الكشحين ودقة الخصر وتعكّن البطن (طيه دلالة على الجمال).

4.2 الطول والسّمن:

أحب العرب المرأة الطويلة، طولا معتدلا، وقد امتدحوا صفة الطول في المرأة ونفروا من القصر، ورأوا أن الكمال في الإعتدال حتى قال بعضهم: من أراد النجابة فعليه بالطّوال، أما عن السمن فإن للعرب أقوال كثيرة في هذا المجال وقد تطرقنا للبعض منها، فنجدهم يفضلون المرأة السمينة بالإضافة إلى لتفضيل المرأة المجدولة التي مابين السمينة والممشوقة يعني تسر النظر كقول أبي نواس في ذلك:

" فوق القصـــيرة والطويلة فوقها دون السّمين ودونها المهزول (حسين ، 1989، صفحة 232)

إن المرأة عندهم تكون على هذه الصفات والصور، لا طويلة ولا جسيمة ينفر منها الرائي، وعلى العموم فقد قيست المرأة بثقلها ووزنها وطولها ولهذه الجوانب قيمة اجتماعية تعارف عليها الناس ودرجوا على إضفاء قيمة عليها. تفصح عن البحث عن المفقود أو نشدان ما يفقده الإنسان ويبحث عنه أي الرفاه وحياة البذخ والراحة بينما المرأة النحيلة، النحيفة، الضامرة الأعضاء على ما يبدوا في ذهنيتهم قد نشأت في بيت به حاجة وخصاصة وإملاق.

ويلاحظ في مفردات الشعر الجاهلي استخدام تعابير فاضحة مكشوفة فالمرأة في تعابيرهم كالبيضة ودرة الغواص، وشعرها الفاحم كعناقيد النخل تضيع فيه المدراة، ووجهها الأبيض ضارب إلى الصفرة، يضيء كالشمس أو كالبدر أو كالنار أو كمنارة الراهب، يؤثرون العيون السوداء والكحلاء والحوراء، عين الغزال والمهاة، ويستحسنون بياض الأسنان وأشرها، ويشبهونها بالأقحوان، والبرد، ويمدحون الثغر ببرودة الريق وحلاوة الطعم، وطيب النكهة، لا تخلفه نومة الضحى، ويشبهونه بالخمر

ولطيمة المسك والروضة الأنف، وقد يستخدمون تشابيه غير مألوفة، في عصرنا، كتشبيه إمرئ القيس لأصابع محبوبته بالأساريع وهو نوع من الدود الأبيض. (الانصاري، 2001، صفحة 216)

لقد تبارى الشعراء عموما في تصوير تفاصيل جسد المرأة وشهوها بمختلف الصفات من واقع حياتهم، وتقويماتهم في الوجه والعيون والأنف والشفاه والثغر والريق والنظرة والابتسامة والعنق والترائب والصدر الكاعب والخصر والبطن والعجز الذراعان والساقان وطول القامة والمشية وكل الحركات والإيماءات التي تابعوا أدق تفاصيلها وهي نظرة كما يبدوا حسيّة، مجسمة، مادية في تذوق الجمال لدى العرب.

إذن التصورات العربية المتجذرة في الجاهلية والمتبلورة في الإسلام وبداياته عن النساء بصفة عامة ملخصها جاء في وصف لخالد بن صفوان لما قال:

1- أريد بكرا كثيب وثيبا كبكر: تجمع بين محاسن العذراء وعقل المرأة المجربة.

2- لا ضرعا صغيرة ولا مسنة كبيرة: لا صغيرة السن ضاوية الجسد ضئيلة ولا تجاوزت سن الشباب فترهلت وتضخمت.

3- لم تقرأ فتجبن ولم تتفتّا فتمجن: ليست من القراء، والقراء هم قراء القرآن وناسخوه وحفاظه.

4- قد نشأت في نعمة وأدركتها خصاصة فأدّبها الغنى وأذلها الفقر.

5- حسبي من جمالها أن تكون ضخمة من بعيد مليحة من قريب: أن تكون مليئة الردفين والفخذين وضامرة البطن... كما رأينا سابقا... مع حسن الوجه ووضاءته.

6- لا ترفع رأسها إلى السماء نظرا ولا تضعه إلى الأرض سقوطا. (العلوي، 1988، صفحة 54)

3. التصور الجزئي لجسد المرأة وجمالياته عند العرب

رأينا سابقا أن الجسد موجود ثقافي خاضع لضوابط اجتماعية وثقافية ودينية ورمزية... إلخ، وجمال الجسد الأنثوي بدوره خاضع أكثر لمثل هذه الضوابط، تشكله الثقافة وتصفه حسب الحاجة والرغبة، فقد وصف العرب في جاهليتهم أو في زمن ما قبل الإسلام جسد المرأة وجمالياته بتفاصيله وأجزاءه وصفا صريحا، محدّدا لأنوثتها المرغوبة ذات الكتلة اللحمية التي توزن بميزان الحواس، موقفهم من المرأة موقف حسّي يركز على وزن البدن وحجم الأعضاء بالتركيز على الجزء الأسفل والأطراف الممتلئة.

والمرأة عبر هذه الأوصاف لجأت إلى تشكيل ذاتها أو جسدها حسب القاعدة السابقة، وقد ظل العرب يهتمون ويعظمون هذه الجوانب ويعلنون رغبتهم علنا نتيجة للظروف الاجتماعية السائدة والتي كانوا يعايشونها دون تحرّج، وبحسية تامة نحو مظهرية وجمالية الجسد الأنثوي المرغوب باعتبار أن جمال الأنثى عندهم كان مدخلا رئيسيا للحب والعشق (الحب العذري...) ثم للاختيار (الزواج...).

تكوّن صورة المرأة على هذه الشاكلة مبني على النظر الدقيق، المتتبع لأدق التفاصيل الظاهرة والباطنة، ومع مستوى التعامل مع الجسد المؤنث موضوع الرغبة والغواية والظهور المكشوف، المتبرّج الذي يظهر غالبية أجزاء الجسد فالغواية الأنثوية تمر أساسا عبر المجال الجسدي الفيزيقي، وعبر قانون المظهر ونادرا ما تمرّ من خلال الكلام أو الرّوح. (الزاهي، 1997، صفحة 101)

إن النظر إلى الوصف الجسدي الذي ساد زمن قبل الإسلام استدعى تقنين العلاقة بين الجنسين والنظرة إلى الآخر، والدعوة إلى ستر وحجب الجسد الأنثوي وإبعاده عن التداول والابتذال، واعتبار هذا الجسد وجمالياته فتنة هدامة وعورة وجب إخفاءها:" وقرن في بيوتكن ولا تبرّجن تبرّج الجاهلية الأولى " (سورة الأحزاب الأية 33)ففي الجاهلية كانت المرأة تكشف عن أعضاء جسدها كالشعر، الساقان... إلخ وكانت العين هي الواصفة لكل ما يحيط بها، مصدر الغواية والفتنة ليقنن مع الإسلام النظر، خاصة الجسد المؤنث، الذي ينظر إليه في إطار شرعي هو الزواج.

وصار الجمال في التصور الإسلامي مرتبطا بمؤسسة الزواج أيضا من خلال الأحاديث النبوية: فقد قيل لرسول الله: أي النساء خير، قال: التي تسره إذا نظر وتطيعه إذا أمر، ولا تخالفه في نفسها ومالها بما يكره (الزاهي، 1997، صفحة 77)، كما فضل المرأة الولود الودود بغض النظر عن صفاتها إن كانت سوداء، أو قبيحة الشكل... إلخ عن المرأة الجميلة التي تقطع النسل يعني العاقر أو اختيار المرأة الجميلة ذات المنبت السوء، البذيئة اللسان، السليطة... إلخ ، فقد قال (ص): " إياكم وخضراء الدمن " قيل وما خضراء الدمن، المرأة الحسناء في المنبت السّوء (الغزالي، 1980، صفحة 132) وقال: تنكح المرأة لدينها ومالها وجمالها، فعليك بذات الدين تربت يداك (الغزالي، 1980، صفحة 132) وأيضا : " لا تنكح المرأة لجمالها فلعلّ جمالها يرديها. (الترميدي، صفحة 275)

إن للإنجاب والخصوبة والأخلاق والمنبت الحسن أو الدين بشكل عام أهمية خاصة ومن الشروط الأساسية لبناء المجتمع الإسلامي لكن هذا الطرح لا يخفي حقيقة أخرى جاءت في أحاديث نبوية عديدة كان الرسول (ص) مفضلا فيها البكر على الثيب أو العجوز والأمر داخل في إطار مؤسسة الزواج دائما، وأيضا تزين المرأة لزوجها دون غيره أو إظهار جمالها لزوجها وحده، كما أنه في مواضع أخرى يذكر الوجه الحسن قائلا " خير النساء أحسنهن وجوها وأرخصهن مهورا. (الغزالي، 1980، صفحة 130)

كما خص الإرث الديني النساء بكثير من التوصيات التجميلية ودعاهن إلى التزين والتجمل والتبرّج للأزواج وقال (ص) في هذا المعرض " إني لأبغض المرأة التي أراها سلتاء مرهاء (ابن الاثير، 1970) أي غير مزينة لتزيل الخشونة وتتمتع بالأنوثة المرغوبة وتبذل جسدها لبعلها، كما صرّح الرسول (ص) في مواضع أخرى عن حبه للنساء وللطيب ولم ينكر الرغبة في المرأة الجميلة وقد كانت هذه الرغبة في مراتب ثانوية بعد الدين والحسب.

ودعمّ القرآن الكريم هذه الرغبة ونشدان المجتمع للجمال وجماليات الجسد وقد ارتبطت هذه الرغبة بالجزاء الأخروي وبما ينتظر المؤمن في الدار الآخرة من حسان وحور العين: " إن أنشأنهن إنشاءا فجعلناهن أبكارا عربا أترابا ." (سورة الواقعة، الآية 35-37)

وأيضا: " وحور عين كأمثال اللؤلؤ المكنون " (سورة الواقعة، الآية 22-23) ويظهر أن مفهوم العرب يرتبط بالزوجات العاشقات لأزواجهن اللواتي اشتدت عندهن الرغبة الجنسية بدافع الحبّ والولاء ويصف الله تعالى هؤلاء النسوة بحور العيون تيمنا بجمالهن. (الخوري، 1997، صفحة 72)

وجسد المرأة أساسا اعتبر عورة تحفظ ماعدا وجهها وكفاها وقدماها، يمكن وصفها دون إمعان لأن تتبع الجمال الجسدي للمرأة في الإسلام يشكل إثارة لثقافة الجسد في الإسلام التاريخي، وهو من ثمة لن يخرج عن هذه القاعدة العامة قاعدة البوح والصمت (الزاهي، 1997، صفحة 75) والممنوعات الخطابية كثيرة، إلا ما جاء في الدين، أي التزام ما جاء في الكتاب والسنة بشأن ثقافة الجسد وطهارته

صار جسد المرأة متفاعلا ومتلائما مع الصورة العرفية التي غدا العرب يلتمسونها وينشدونها بعد اختلاطهم بأقوام عديدة، أن بعضا من المقاييس لم تعرف تحولا كليا بل تماشت مع أو عدّلته وأضافت إليه الجديد نتيجة الاختلاط بين الأعراق والأنساب والثقافات. فإذا كانت الرشاقة وتقدم وتعقد مواد الزينة والتجميل وغنى المظهر اللباسي سمة الحداثة إلى درجة التقنع، فإن رشاقة الجزء العلوي لم تمنع مع ذلك من الاستمرار في طلب كثابة الجزء السفلي (الزاهي، 1997، صفحة 83)

وعلى هذا النحو تجاوز العرب طلب الفخامة والسمنة وامتلاء في المرأة إلى الاعتدال في القوام والقد بحيث تظل المرأة محافظة على البعض من بدانتها في بعض الأجزاء لتقبل ويرغب فيها وفي جسدها، فقد صار العرب يفضلون المرأة المجدولة المتوسطة الامتلاء، المشوقة، الرشيقة، ذات القد الأهيف، الكاسية العظام، السليمة الأعضاء، دون زوائد منفرة، المتثنية في مشيتها ومعنى هذا أن الذوق العام قد تحوّل عن أشباه عائشة بنت طلحة والثريا وعبدة ومال إلى المتناسقات الأعضاء الكابيات العظام، اللواتي لا سمن في أجسادهن ولا ترهل. (الزاهي، 1997، صفحة 84)

وتماشيا مع الحضارة الجديدة وقيمها ومعاييرها المتداخلة مع الثقافات الأخرى التي خالطتها، أصبح الذوق الأدبي رفيعا رهيفا، بظهور القيان والجواري المتصنعات المختلفات الأجناس والألوان، وولوجهن عالم الرجال والأمراء ومجالسهم ونظمهم الشعر والغناء والكتابة وإتقانهن فنون أخرى كالرقص وغيره فجمال القينة جمال ممكن وقابل للصنع والتداول والامتلاك للمتعة، بل إنه قابل للخلق مع تطور فن الزينة والتجميل والتقنين ليتم فيما بعد الانسلاخ كلية عن التشبيهات الطبيعية والنظر إلى الجمال الأنثوي في مرجعيته الخاصة (الزاهي، 1997، صفحة 86)، لقد تجاوز الجمال الأنثوي كل ما هو فطري وطبيعي والتشبيهات الطبيعية (الظبية، البقر الوحشي...) إلى الجمال المصطنع والمتصنّع المعتمد على بعد

الزينة ووسائلها وتقنياتها وبعد الإغواء والإغراء المتمركز في الوجه وحركات الجسد التي تبرز مفاتنه (المشية المتدللة والمتهادية، الرقص...إلخ) وعبرها يتحول الجسد الأنثوي إلى جسد جمالي –مهما كانت صفاته- مرغوبا فيه عبر تقنيات التجميل وصناعة الجمال ومنها إزالة الشعر من الوجه والأطراف وتطويل الشعر وجلاء الأسنان وتطييب الفم... إلخ، تؤكد تجذر المظهرية الجسدية في المجتمع الإسلامي، بحيث لم تختص بالقيان لوحدهن بل تعدّهن إلى الحرائر... فالتزين يقدم نفسه بوصفه وسيلة لاستحضار وجه نموذج جمالي معطى (الزاهي، 1997، صفحة 99) ومصنوع من أجل صنع نموذج الجواري والقيان المتداولات اجتماعيا وإخفاء عيوبهن الظاهرة خاصة في الوجه مع التركيز على الجوانب المتعلقة بالظرف والملاحة واتقان فنون المحادثة والمسامرة ونظم الشعر والغناء والرقص ليكتمل حسنها وجمالها.

وهذا تأكيد على مكانة وموقع الجسد في التواصل التعبيري المتغلغل منذ القدم ومحاولة تجذره في المخيال العربي- الإسلامي ليتخذ صبغة قارة ومخصوصة في تاريخ المسلمين إلى القرون الأخيرة للمجتمع الوسيط باعتباره نتيجة مباشرة للتخصص الذي ساد المصنّفات العربية ووضوح التمايزات بين العذري والماجن والجمال البلاغي والجمال الجنسي (الزاهي، 1997، صفحة 81)، وهذا التمايز يكشف عن الاهتمام الكبير بالأعضاء الجسدية ذات الترابط الوثيق مع الجمال ومتعة الجسد التي انعكست في أخبار العرب المتصلة بأخبار القيان والجواري وظهور شعر جسدي لدى أبي نواس وبشار بن برد وعمر بن أبي ربيعة، ونجده أكثر في ألف ليلة وليلة، أما صورته القصوى فنجدها في الكتابة الإيروسية مع جوامع اللذة والروض العاطر ورجوع الشيخ إلى صباه ونزهة الألباب التحول التأويلي الذي تبلور في الكتابات الصوفية من قبيل تائية ابن الفارض وكذا ترجمان الأشواق لابن العربي بالأساس ... كما لدى النفزاوي... التصور الصوفي للجسد. (الزاهي، 1997، صفحة 82)

وبصفة إجمالية نجد العرب قد تخلصوا من تصورهم لذلك الجسد الممتلئ، لينشدوا بعدها الجسد المجدول الرشيق، الضامر، الأهيف، مع دقة وقلة اللحم، كغصن البان والقضيب والأس، إن المرأة التي صارت مطلوبة هي القريبة من الضمور حتى الهزال الغير معيب أي السلهبة الخفيفة اللحم والمجدولة الممشوقة والسرعوفة الناعمة الطويلة والعيص والعنقاء الطويلة العنق.

وعلى العموم يمكن تلخيص الفروق التي طرأت إن كليا أو جزئيا على النموذج الجمالي الأنثوي وجمالياته لدى العرب كالآتي:

- فضلوا الجسد ذي القوام الرشيق والقد الممشوق والمجدول على الجسد السمين، الممتلئ، الرداح، الثقيل.

- فضلوا البطون الضامرة مع الخصر الأهيف، الدقيق على البطن ذي العكن مع الخصر الدقيق أيضا.

- حسن تناسب الأعضاء وجمالها على ضخامتها وفخامتها وامتلاءها (الساق، الذراع...)

- ازدادوا تنويها بمحاسن المرأة الرّوحية وصنعتها من شعر وغناء وأدب وظرف ولباقة وحسن المقال والشمائل والأخلاق... إلخ.

وقد تداخل الوصف الجمالي المادي والنفسي للمرأة من خلال الأقوال السابقة واستزادوا على ذلك حسب المنظور الديني المرأة التي تستحضر الثالوث المكون من : التدين والإنجاب والإحصان يضم مبادئ أساسية تتمحور حولها الصفات الإيجابية والسلبية معا، ومن ثمة فإن تلك المبادئ تشكل الأساس الذي تنبني وفقه صورة المرأة، أما إذا كان العكس فإن صورتها ستتخذ شكلا سلبيا (افرفار، 1996، صفحة 20)، إن هذه المبادئ تشرح بإيجاز وافي الصفات التالية المتعلقة بـ: الصدق، الطاعة، مسحة الحياء، الدلال، الطاعة، الأنيسة اللطيفة، القليلة الكلام، الصالحة في المنبت وفي نفسها، ولود، ودود، محصنة، متدينة، البكر أو العذراء... إلخ، القصيرة اللسان، المطاوعة العنان، الناصحة الجيب (الأمينة)، الأمينة الغيب، الرّزان في مجلسها، الوقور في هيئتها، المهيبة في فاقتها الخفيفة المتبذلة في خدمتها لزوجها، تحسن تدبيرها وتكثر قليله بتقديرها، وتجلوا أحزانه بجميل أخلاقها، وتسليّ همومه بلطيف مداراتها. (البرقوقي، 2004، صفحة 305)

والأوصاف في هذا المجال كثيرة وعديدة تكشف عن رغبة العرب في المرأة التي تجمع بين الجمال المادي والنفسي الموافقة لأهواء الرجل العربي في شتى الأطوار وقد أعلنوا عن هذه الرغبة بشتى الطرق ليقابلوها بما ينفرون منه ويمقتونه في المرأة في مواضع أخرى تحتاج إلى حفر وقراءة.

4. خاتمة:

تبين لنا من خلال القراءة التراثية لبعض ما خلفه العرب حول الجسد الأنثوي انهم اعتادوا النظر إلى المرأة من زاوية الجسد، القوام، الجمال الظاهر، الحسي، رغم أن هذه النظرة سائدة لدى مختلف الشعوب، بالرجوع إلى المثيولوجيا، الأشعار، القصص، المرويات... إلخ العربية تنعكس هذه الرؤية أكثر من الشعوب الأخرى، وما كان يجذب العرب في المرأة تمثل في صورتها الجسدية المتعلقة بالجمال الحسي المشاهد وتضمن ثلاث مواطن:

- الموطن الأول تمثل في الجمال التشكيلي للجسد، يعني الجسم الثابت الغير متحرك يشمل التناسق البنائي، والهندسي للجسد وتزيينه.

- الموطن الثاني يتصل بحركات الجسد من مرونة ونعومة ورشاقة ورقة في المشي والحركة وغيره.

- الموطن الثالث يتعلق بالجمال النفسي وما يطرأ على النفس من حوادث بسيكولوجية وفيزيولوجية، فتعبر عما تحمله وما تتميز به النفس أو ما تختزنه وما تمتزج به من فعاليات ووحدات منفصلة (التعبير عن طريق اللسان، النظر، الملامح...).

كما أنّ الجمال العربي (المرأة) بوجه عام يقوم على عاملين الأول يتمثل في التناسق والثاني في النظام مكونة لصورة المرأة المتضمنة للكثير من العناصر الجمالية التي تتماشى مع وظيفتها بوصفها أنثى، فالجمال الجسدي للمرأة في التراث العربي الإسلامي خضع لتبدلات وفق الزمان ووفق مبدأ الانفتاح على الأخر الذي ادخل مقاييس جمالية جديدة في العهود المتأخرة في التاريخ الإسلامي، ليتغير المرغوب الشكلي للجسد الأنثوي من الممتلئ إلى طلب الرفيع وطلب الجمال النفسي والجمال المصطنع مع تطور وسائل الزينة والتجميل.

قائمة المراجع والمصادر:

محمد. (2000). الجواهر. الجزائر: دار النشر.
خليل عبد الكريم. (1998). العرب والمرأة (الإصدار 1). القاهرة: سيناء للنشر.
عبد الكريم خليل. (1998). العرب والمرأة (الإصدار 1). القاهرة: سيناء للنشر.
خديجة صبار. (1998). المرأة بين الميثولوجيا والحداثة. المغرب: أفريقيا الشرق.
عمرو إبن بحر الجاحظ أبي عثمان. (1996). المحاسن والأضداد. لبنان: دار ومكتبة الهلال.
عبد الرحمن البرقوقي. (2004). دولة النساء معجم ثقافي اجتماعي. بيروت: دار ابن حزم.
حسن يوسف عبد الجليل. (1989). عالم المرأة في الشعر الجاهلي. دار الثقافة والنشر والتوزيع،.
بن عمر بن محمد بن عبد ربه الأندلسي. (1983). كتاب العقد الفريد. بيروت: دار الكتاب العربي.
رضا ديب. (2000). دولة النساء (الإصدار 1). بيروت: دار الكتب العلمية.
ابن عبد ربه الاندلسي. (1983). كتاب العقد الفريد. بيروت: دار الكتاب العربي.
الأبشيهي. (2000). المستطرف من كل فن مستظرف (الإصدار 1). لبنان: دار البحار.
عبد الجليل يوسف حسين . (1989). عالم المرأة في الشعر الجاهلي. القاهرة: دار الثقافة.
حفيظة رواينية. (جوان, 2001). صورة المرأة ودلالتها في ثلاث مقطوعات جاهلية. مجلة التواصل(8)، صفحة 315.
ابراهيم الحيدري. (2003). النظام الأبوي وإشكالية الجنس عند العرب. لبنان: دار الساقي.
علي الهاشمي. (1960). المرأة في الشعر الجاهلي. بغداد: مطبعة المعارف.
عبد الكريم خليل . (1998). العرب والمرأة (الإصدار 1). القاهرة: سيناء للنشر.
دافيد لوبيرتون. (1997). أنثروبولوجيا الجسد والحداثة. (محمد عرب صاصيد، المترجمون) بيروت.
فاضل الانصاري. (2001). العبودية الرق والمرأة بين الإسلام الرسولي والإسلام التاريخي (الإصدار 1). سوريا: لأهالي للطباعة والنشر و التوزيع.
سورة الأحزاب الأية 33. (بلا تاريخ).

ابو حامد الغزالي. (1980). إحياء علوم الدين (الإصدار 2). بيروت: دار الفكر.
الترميدي. (بلا تاريخ). سنن الترميدي، الجامع الصحيح (المجلد 2). بيروت: دار الفكر.
مجد الدين ابن الاثير. (1970). جامع الأصول في أحاديث الرسول. بيروت: مطبعة الملاح.
سورة الواقعة، الآية 35-37. (بلا تاريخ).
سورة الواقعة، الآية 22-23. (بلا تاريخ).
فؤاد اسحاق الخوري. (1997). إيديولوجيا الجسد رموزية الطهارة والنجاسة (الإصدار 1). بيروت: دار الساقي.
علي افرفار. (1996). صورة المرأة بين المنظور الديني والشعبي والعلماني (الإصدار 1). بيروت: دار الطليعة.
محمود مهدي الاستانبولي. (1994). تحفة العروس. الأردن: دار الفكر.
فريد الزاهي. (1997). الجسد والصورة والمقدس في الإسلام. بيروت: أفريقيا الشرق.
هادي العلوي. (1988). الأعمال الكاملة (6) فصول عن المرأة. سوريا: دار المدى للثقافة والنشر.